المحاضرة الرابعة

الدعوة السرية

المحور الاول: الدعوة السرية:

اولا: تبليغ الدعوة المسلمون الاوائل:

عندما نزل الأمين جبرئيل مبشّراً النبي الأكرم بالنبوّة والرسالة، وألقى على عاتقه مقاليد مهامّها هداية الأُمّة ، التي يصوّرها قوله سبحانه: (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا)(المزّمّل/٥) ، وقوله سبحانه : (**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ* قُمْ فَأَنذِرْ* وَرَبَّكَ فَكَبِّر**) (المدّثّر:١-٣) فقام الرسول مؤدّياً رسالته مستضيئاً بهدى الوحي حتّى تكلّلت بالنجاح وبلغت الغاية المنشودة، هي المرحلة السرية التي أشار إليها القرآن الكريم في مواضع متفرّقة فإتّخذ الرسول الدعوة السرّية خطوة أُولى خطاها في سبيل تحقيق إنجاح الدعوة الإلهيّة، وفي هذه المرحلة دعا النبي (ص) من يثق بهم، فكانت السيدة خديجة (ع) وبناته وعلي بن أبي طالب (ع) وزيد بن حارثة من أوائل من أسلم من داخل بيت النبي، فيما كان أبو بكر الصديق أول من آمن من خارج بيت النبي (ع) ومن ثم الزبير بن العوام، وعثمان بن مضعون وغيرهم.

لم يكن الغرض من التركيز على السرّيّة في الدعوة الخوف على نفسه وصيانتها من كيد الأعداء، بل هذه هي الخطّة الرائجة بين الدعاة المخلصين، فلا يجهرون بالدعوة ، ولا يعلنونها بادئ بدء ، بل يبدأون بعرض الدعوة سرّاً على الأفراد الذين يطمئنّون لهم . ولأجل ذلك . بدأ الرسول (ص) بالدعوة السرّية إلى الاسلام فدخل تحتها عدّة من الشباب، فتعلّموا الفرائض والسنن سرّاً وكانوا يذهبون إلى شعاب مكّة فيقيمون الفرائض فيها، وهذه الثلّة القليلة الّتي تشرّفت باعتناق الإسلام هم الذين يعبّر عنهم القرآن الكريم بقوله: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ*أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) (الواقعة:١٠-١١) فكان النبي الأكرم (ص) يعرض دعوته على من يتفرّس فيه علائم قبول الإسلام ولذلك لمّا هبط من غار حراء عرضه على زوجته خديجة وابن عمّه علي ، وقد تمكّن الإسلام بذلك في قلوب عدّة سجّلت أسماؤهم في التاريخ مثل زيد بن حارثة وعثمان بن مظعون وقدامة بن مظعون وغيرهم يقول ابن هشام في تفسير قوله تعالى: (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) أي بما جاءك من الله من نعمته وكرامته، من النبوّة فحدّث أي اذكرها ، فادع إليها ، فجعل رسول الله يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوّة سرّاً إلى من يطمئنّ إليه من أهله، وليس في

الذكر الحكيم آية تكشف عن أحداث هذه المرحلة غير ما ذكرنا من الآيتين ، فمن أراد التفصيل فيجب عليه أن يرجع إلى كتب السيرة النبويّة، بعض ما جاء في المقام:

١- روى ابن هشام عن ابن إسحاق أنّه ذكر بعض أهل العلم : (انّ رسول الله كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكّة وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيه ومن جميع أعمامه وسائر قومه فإذا أمسيا رجعا ومكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثم أسلم زيد بن حارثة وكان أوّل ذكرٍ أسلم وصلّى بعد علي بن أبي طالب(ع).

٢-روى الطبري عن جابر قال : (بعث النبي يوم الاثنين وصلّى علي يوم الثلاثاء ، وروي عن زيد بن أرقم قال : أوّل من أسلم مع رسول الله (ص) علي بن أبي طالب ، ويقول علي: أنا عبد الله وأخو رسوله أنا الصّدّيق الأكبر لا يقولها بعدي إلّا كاذب مفترٍ صلّيتُ مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين). وبعض هذه السنين يرجع إلى ما قبل البعثة حيث إنّ الرسول كان يتعبّد لله سبحانه في غار حراء في كل سنة.

١- رواية ابن إسحاق: ((وكان أصحاب رسول الله (ص) إذا صلّوا ذهبوا في الشعاب فاستخْفوا بصلاتهم من قومهم، فبينا سعد بن أبي وقّاص في نفر من أصحاب الرسول في شعب من شعاب مكّة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلّون، فناكروهم، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعد بن أبي وقّاص يومئذ رجلاً من المشركين ، فشجَّه ، فكان أوّل دم أهريق في الإسلام)). مما جعل الرسول بعد هذه الحادثة يتخذ دار الارقم للاجتماع والتعبد فدخل اخرين منهم عمار بن ياسر وصهيب بن سنان الرومي.

ثانيا: اتّخاذ النبي دار الأرقم مركزاً لنشر الدعوة:

كان النبي (ص) يؤدّي رسالته مستخفياً من قريش بمكّة ويعرض الإسلام لمن يطمئن إليه، وقد ألجأته الظروف إلى اتّخاذ بيت لتبليغ تعاليمه ، وإقامة المؤمنين فيها فرائضهم ، وقد وقع الإختيار على دار الأرقم بمكّة على الصفا مركزاً لهذه المهمّة فدخل (ص)، فكان (ص) وأصحابه يقيمون الصلاة بها ويتعبدون فيها إلى أن أمره الله تعالى بالإعلان عنها ، فامتثل صادعاً بما أُمر.

ثالثا: موقف قريش في بداية الدعوة:

كان موقف قريش من الدعوة، أن القوم لم يعيروا الأمر اهتمامًا كبيرًا في بدايته، إذ ظنّوا أن النبي (ص) كسائر الحنفاء الذين ظهروا قبله، إلا أنهم بدأوا يتوجسون من انتشار دعوته وتأثيرها، فصاروا يترقبون ما سيؤول إليه أمره. وقد استمرت الدعوة السرية لمدة ثلاث سنين لم يأذن الله

تعالى للنبي (ص) ان يجهر بها الى الملاء. ما زعماء قريش فانهم لم يتعرضوا بأي عمل عدائي الرسول (ص) ظلوا ينظرون اليه باحترام، ذلك أن زعماء قريش كانوا متأكدين من أن دعوته ستنتهي في العاجل.

ثم امرة الله تعالى ان يدعو عشيرته الأقربين قال تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)، فقد أعد لهم وليمة ودعا بني هاشم ووجهائهم ليكشف لهم أمر رسالته، الا ان هذا المجلس انفض دون تحقيق الغرض، ثم اعادها في اليوم الثاني فقام النبي (صلى الله عليه واله) بعد تناول الطعام خطيباً ((اني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله عز وجل أن ادعوكم اليه، فأيكم يؤمن بي ويؤازرني على هذا الامر أن يكون أخي ووصبي وخليفتي فيكم ؟فقام علي وهو قائلاً: انا يارسول الله أكون وزيرك على ما بعتك الله)) وقد تكرر هذا الموقف ثلاث مرات عندها اخذ بيد علي والتفت إلى القوم قائلاً : ((إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له (واطيعوا فضحك الجميع مستهزئين وقالوا لأبي طالب قد امرك النبي (ص) أن تسمع لابنك وتطيعه وجعله عليك اميراً (الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ٣١٩؛ ؛ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج١، ص٦٥٩).